الباب السابع

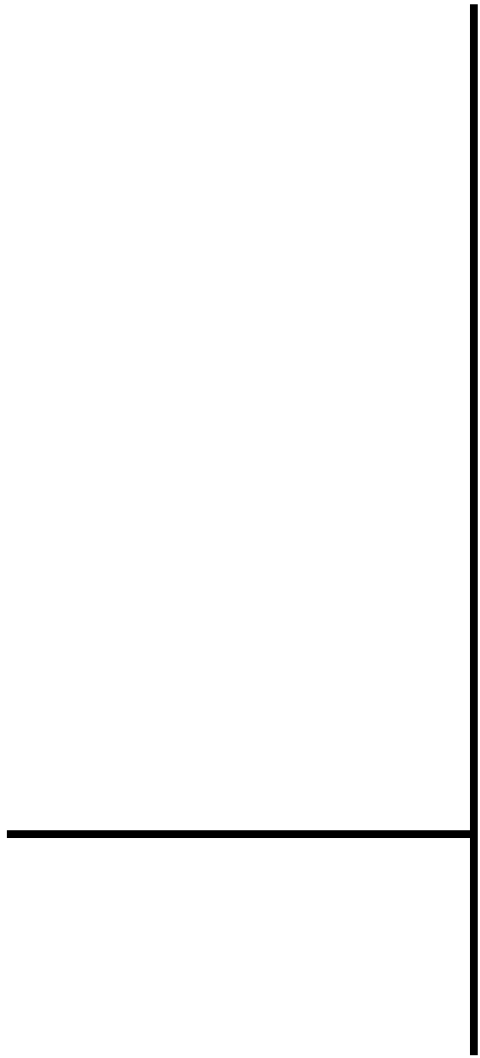

تقريظ

هل أنتم علماء للمسلمين أم علماء للسلاطين أم تُجار دين؟

إن الذي يجري في غزة على يد اليهود من جرائم ضد أطفال ونساء ورجال المسلمين من أبناء الشعب الفلسطيني هو إبتلاء للعلماء، وتمحيص من الله لهُم وليُميزالخبيث من الطيب،والصادق من الكاذب ،والسابق في الخيرات من الظالم لنفسه المُتاجر في الدين،فالدماء الزكية الطاهرة التي يُسيلها اليهود اليوم في غزة أنهاراً ستكون لعنة على الساكت عليها أويُبررها وعلى كل المتواطئين والمتخاذلين والموالين لليهود وأمريكا وأعوانهم،فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول (صنفان إذا صلحا صلحت الأمة العلماء والأمراء) ونحن نعيش في عصرتحول فيه كثيرمن دعاة العلم إلى متاجرين في الدين لايقولون إلاما يُرضي الحكام،فهم لاهم لهُم إلا مُنافقة الأمراء ومدح فسادهم وظلمهم وتبريرمُوالاتهم للكفار،ولكن الحمد لله الذي يُوجد في الأمة من أعلن الجهاد في سبيل الله،فوالله لولا أن الله قد تكفل بحفظ دينه لذهب على يد أمثال هؤلاء تجارالدين وعلماء السلاطين الذين توعدهم الله بالويل: (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) فلا تأخذوا دينكم إلا من القرأن والسنة،لا تأخذوه من تجارالدين بعد أن تبين

لكم حقيقتهم فإنهم يُضلونكم الطريق،فالقرأن والسُنة حُجة عليهم وعلى مواقفهم، فهؤلاء يقول عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هناك أئمة يقفون على أبواب جهنم يدعون الى النارإذا اطعتموهم هلكتم).

فحتى ننجوا ولا نضل علينا أن نقيس أقوال كل من يدعي العلم بالقرأن والسنة، فما توافق معهما أخذنا به وما تعارض معهما ضربنا به عرض الحائط،فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي عضوا عليهما بالنواجذ).

فهناك مجموعة من علماء المسلمين من جميع أنحاء العالم أصدروا فتوى إعتبروا فيها أن السكوت عن تواطؤ الحكام مع اليهود في ذبح المسلمين في غزة تعاون مع العدو اليهودي وموالاة لهم،وإعتبار الجهاد في سبيل الله في فلسطين كلها جهاد شرعي يجب دعمه بالمال والنفس ،فهؤلاء العلماء قد برأوا ذمتهم أمام الله ثم أمام الأمة،فهذه الفتوى هي أقل ما يجب على كل من يدعي أنه من علماء المسلمين وعندما دققنا في أسماء العلماء الموقعين فلم نجد كثيرمن الذين يدعون أنهم حجة على المسلمين والعلماء المسئولين عن إصدار الفتوى الذين يسمون أنفسهم بالوسطيين فأين أنتم يا من تقولون أنكم علماء المسلمين: ولم توقعوا على هذه الفتوى؟ أين أنتم من إستغاثة الصبايا والآطفال اليتامى ؟ أين أنتم من صرخات النساء الثكالى وبكاء الرجال المكلومين؟ أين أنتم يامن

تقولون أن لحومكم مسمومة مُدعين العصمة،فكل من يعترض عليكم تلقوا عليه الحرمان كما يفعل رجال الكنيسة؟ أين أنتم يا من تقولون أنكم ورثة الأنبياء؟اين أنتم يامن تدعون أنكم علماء الدين ؟

أين أنت ؟ يا من افتيت بأن الأمريكان الصليبيين وعملاءهم في العراق واليهود في فلسطين هم ولاة أمر المسلمين لايجوز الخروج عليهم بل ان طاعتهم واجبة ؟فهذه الفتوى لاتصدرإلا ممن كان من أحفاد بني قريظة وما يدرينا لعلك منهم أين أنتم يا هيئة كبارالعلماء في السعودية؟ أين أنتم يا من أفتيتم بحرمة التظاهر نصرة لأهل غزة المسلمين معتبرين المظاهرات من الفساد في الأرض؟ فلماذا لاتصدرون فتوى بقطع النفط عن الأمريكان واليهود؟ ألا تعلمون أن الطائرات التي تقصف بلادنا وتقتل أطفال المسلمين وتهدم البيوت على رؤوسهم وقودها من بترول المسلمين هل وظيفتكم فقط تخريب الدين وإقامة مؤتمرات حوار الأديان مخالفين كتاب الله الذي يقول أن الحوار مع الأديان لا يكون إلا بدعوة أصحابها من أهل الكتاب إلى الإسلام؟ أين أنتم يا من إستبدلتم الجهاد في سبيل الله بقتال الكفار بالجهاد في الفضائيات التي تغدق عليكم بغير حساب ؟ أين أنتم يا إتحاد علماء المسلمين لقد كان عالم واحد مثل العز بن عبد السلام برفابكم جميعاً.

أين انتم من العزبن عبد السلام؟ الذي لقب ببائع الملوك الذي رفض ان يبايع سلاطين المماليك قبل أن يحررهم لأنه لا يجوز مبايعة العبيد، فكان بعدها النصر المبين على التتار والمغول ،أما انتم يا من تدعون العلم فإنكم تبايعون العبيد الذين يلبسون ثياب الأحرار الذين يكونون أذلاء بين أيدي الكافرين أعزاء على المسلمين الجهلاء والعاجزين عن التفكير والتعبيرولا يستطعيون قراءة الفاتحة ولا يعرفون أحكام الطهارة على السمع والطاعة ولو حاربوا الله ورسوله وتولوا من حرم الله موالاتهم.

اين انتم من المجاهد شيخ الإسلام ابن تيمية الذي قاد المسلمين لمحارية التتار والمغول صاحب الفتاوي التي كان لها أكبر الأثر في محاربة الظلم والظالمين عبر التاريخ ؟ أين أنتم من العالم إمام التابعين المجاهد عبدالله بن المبارك .

والله اني سمعت أحد تجار الدين هؤلاء من أصحاب ربطات العنق الفاخرة في مقابلة على الجزيرة،بدلاً من أن يدعو إلى الجهاد وفتح المعبر يقول في هذه المقابلة (أنا أستيقظ من الصباح الباكر سعيداً وفرحاً لأشاهد الجزيرة لأعرف كم دخل الجنة من أهل غزة اليوم،فعندما أسمع بأن مائة أو مائتين من أهل غزة قتلوا أفرح وأنبسط وبقول ياسلام اليوم دخل من أهل غزة مائة أومائتين الجنة هنيالهم ما إحنا كلناعايزين نخش الجنة،ثم يسأل المذيع انت مش عايز تخش الجنة بالله عليكم هل هذا من

العلماء أم من العوالم،ألم يسمع هذا التاجر بقول الله تعالى: (وما لكُم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها وأجعل لنا من لدُنك وليا وأجعل لنا من لدُنك نصيرا)ولقد سمعت هذا نفسه على محطة الرسالة يقول(الله هُم لي عاملين من المعبر حكاية ومركزين على المعبر .

أين أنتم يا من تسارعون في كسب رضى أولياء نعمتكم بدلاً من رضى الله؟ ألم تسارعوا عام 1990 إلى الإجتماع في مكة عندما وحد صدام حسين جزئين من بلاد الأمة مما أغضب الكفار لصليبيين،فأصدرتم فتوى بأن هذه الوحدة لا تجوز وهي مخالفة للقرأن والسنة،وأن مُوالاة الصليبيين جائزة شرعاً من أجل إعادة فصل هذين الجزئين من بلاد المسلمين ، وألم يُصدربعضكم فتوى تحرم الإستشهاد ، فلماذا لا تسارعون اليوم فتجتمعون لإصدار فتوى تؤكد على الفتوى المشار اليها أعلاه بأن (من أعان على قتل إمرء مسلم ولو بشق كلمة خلد في النار) كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم،فكيف بإعانته على قتل شعب مسلم وإبادته بأطفاله ونساءه ورجاله،أليس إغلاق معبر رفح إعانة لليهود على قتل المسلمين ولإصدار فتوى تسقط الشرعية عن الحكام الذين يُعينون الكفار اليهود على المسلمين وإصدار فتوى لإعلان الجهاد، فإذا لم تسارعوا الأن فمتى ستتحركون.

ويل لكم مما تكسبون يا من تتكسبون بهذا الدين ،ألا ترون ما يفعله اليهود بالأطفال والنساء والرجال والحجر والشجرفي غزة،ألم تسمعوا إستغاثة الأطفال والنساء والرجال والشيوخ في غزة التي تجعل الحجارة تنطق،أم أن الله قد ختم على قلوبكم وعلى سمعكم وعلى أبصاركم غشاوة ،فلا تنطقون إلا بما يذرالرماد في العيون،فتتحدثون عن صمود أهل غزة وعن بطولاتهم والدعاء لأهل غزة،وتقولون كلاماً عمومياً لنصرتهم وتدعون ليوم مناصرة لغزة وكأنكم قمتم بما تفرضه عليكم مسئولية العلم وبما يرضي الله، ان مواقفكم على جرائم اليهود في غزة بيّنتكم على حقيقتكم بأنكم تجار دين وعلماء سلاطين ظالمين ، وأنكم تخشون الحكام والشياطين ولاتخشون الله، وأنكم حريصون على الدنيا ومتاعها وما يتقيأ به لكم الحكام من لعاع الدنيا وفتاته،فمراجعكم هي البترودولار وليس كتاب الله وسنته، فصمتكم على ما يجري في غزة هو فضيحة لكم قبل فضيحة الحكام، فالحكام نحن قد غسلنا أيدينا منهم منذ زمن بعيد واكتشفنا حقيقتهم التي لم تعد تخفى على الأجنة في بطون أمهاتهم،والله لتسئلن يوم القيامة عن صمتكم وستأتون يوم القيامة مقموحين وقد تعلق في أعناقكم أطفال غزة وأمهاتهم وأبائهم أما أنتم يا يهود فأعلموا أن الدم الذي سال بسبب جرائمكم في غزة لن يضيع هدراً بل سيتحول في يوم

من الأيام إلى إعصار كإعصار تسونامي يقتلع كيانكم من جذوره ولن يكون هذا بإذن الله بعيداً.

والسلام على غزة وعلى أهلها الصابرين المرابطين،والسلام على شهدائها وجرحاها، والسلام على المجاهدين في جميع ساحات الجهاد المفتوحة في العراق وافغانستان والصومال وكشميروالشيشان حماة العقيدة والدين الذين يحبهم الله ويحبونه،فقادة هؤلاء المجاهدين والعلماء العاملين هم قادة الأمة الحقيقيون،أما الذين يريدون أن يرضوا الله والشيطان في نفس الوقت فإن الله سبحانه وتعالى قد قال فيهم: (مُذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يُضلل اللهُ فلن تجد لهُ سبيلا .

موت العلماء

إن الموت قدر محتم على كل حي، لا ينجو منه كبير ولا صغير، ولا غني ولا فقير، ولا شريف ولا حقير، ولا حاكم ولا محكوم، ولا عالم ولا جاهل، ولا ذكر ولا أنثى الموت نهاية الحياة الدنيا، وبداية حياة الآخرة يقول تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ مِنَ النَّاسِ ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعُلَمَاءَ بِعِلْمِهِمْ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً ،

اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءً جُهَّالاً ، فَيُسْأَلُوا فَيُفْتُونَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَيُضِلُّوا وَيَضِلُّوا بعد قبض العلماء هل يعني ذلك أنه لن يبقى على وجه الأرض مسلم بسبب الضلال ؟ إن الحديث المذكور حديث صحيح جاء في الصحيحين وغيرهما فقلة العلم وقبض العلماء من علامات آخر الزمان وقرب الساعة ، فقد روى البخاري وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج وهو القتل القتل حتى يكثر فيكم المال فيفيض وفي رواية: إن بين يدي الساعة لأياماً يرفع فيها العلم، وينزل فيها الجهل، ويكثر الهرج، والهرج القتل.

فالساعة لا تقوم إلا على شرار الناس حين لا يبقى في الأرض خير؛ كما في حديث مسلم الطويل عن الدجال وفي آخره فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس، يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة.

أكدت الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء أهمية انعقاد القمة العربية الإسلامية الأمريكية لتحقيق تطلعات الشعوب في الأمن والسلام، كونهما مصلحة مشتركة بين البشرية يطلبها جميع العقلاء، وحثت عليها جميع الشرائع السماوية، مشيرة في هذا الصدد إلى أن تنسيق الجهود الدولية

لتحقيق الأمن والسلام بين الشعوب والدول تحث عليه الشريعة الإسلامية وتؤكد عليه قالت الأمانة العامة لهيئة كبارالعلماء في بيان لها إن انعقاد هذه القمة على أرض المملكة العربية السعودية خادمة الحرمين الشريفين وقلب العالم الإسلامي النابض، يؤكد عِظم مسؤوليتها ويبرهن على أهمية ريادتها، لاسيما أن المملكة هي أول من اكتوى بنار الإرهاب، وهي كذلك من أول المستهدفين به في آثاره ونتائجه.

وعدّت الإرهاب شراً يهدد استقرار الناس وحياة الشعوب، مؤملة من هذه القمة أن تؤدي إلى العمل المنظم والتنسيق العلمي والخبرات العالميه في تكاتف دولي وشعبي ومشاركة فاعلة من الخبراء والمختصين وأصحاب القرار ممن يملك الملفات والقرارات أضافت:الإرهاب الذي ضرب مواقع كثيرة من العالم يهدد الجميع ولن ينهزم إلا بمنظومة متكاملة دينية وسياسية وأمنية وفكرية واقتصادية، ومكافحته تكون على مستوى الدول كما تكون على مستوى الشعوب، والناس كلهم في سفينة_واحدة، والإحساس الجاد بالمسؤولية، وخطورة النتائج يحمّل كل عاقل ومسؤول مسؤوليته، كما أن التهاون والتساهل يؤدي إلى الانفلات والفوضى.

أفكار عملية للعناية بالعلماء

من نافلة القول أن عناية العلماء بأنفسهم، وتوثيق الصلة بخالقهم، يجعل لهم دوراً ومكانة وأثراً عند الناس {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ} ، {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً}، {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} ومن نافلة القول كذلك أن أي إضعاف للعلماء مسبوق بضعف العلماء أنفسهم، فالإضعاف خارجي، والضعف عامل داخلي وبينهما تلازم لا يخفى.

ومن العدل القول إن العلماء جزءٌ من سياق الأمة وواقعها فالضعف العام للأمة طال العلماء بالضعف وهذا إن فسر فلا يبرر الضعف ويقال في مقابل ذلك وإذا قويت الأمة في جانب فلابد أن يكون للعلماء دورهم في القوة وعلى سبيل المثال، فحين تكون ثورة أو نشاط المعلومات، والاتصالات، والفضائيات فلابد أن يكون لأهل العلم دورهم في هذه الميادين بما يصلح ويوجه ويضبط المسار، ويستثمر التقنية وحين يكون الحديث عن أفكار علمية للعناية بالعلماء فلابد أن يسير ذلك في اتجاهين: فردي وجماعي.

يعنى الأول بإصلاح العالِم لنفسه، وسد ثغراته ما أمكن ومجاهدة الهوى والشيطان والصبر والمصابرة والمرابطة والتقوى والشعور بالمسؤولية وباختصار تركيز العالم وطالب العلم لنفسه على جانبين العبادي والعلمي، وهذه العناية الفردية مطلب وضرورة للإصلاح

والعناية الجماعية فهي المهيئة والمعينة والدافعة للإصلاح الجماعي {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو أنهم عظموه في النفوس لعظما

ولا نطيل في هذا الجانب فكلٌّ أدرى بنفسه وتقصيره، لكنا محتاجون إلى نَفْسٍ لوّامة لا تزال بصاحبها تلومه وتحفّزه حتى توقفه على مراق العز، ويصير من أصحاب المجاهدة.

أما الاتجاه الجماعي للعناية بالعلماء فهو من الضرورة بمكان تدعو إليه وتؤكده نصوص الشرع {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْأِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} وتؤكد الحاجة إليه كذلك ظروف الزمان القائم على تعاون الأفراد والمؤسسات وحاجة المشاريع الكبرى إلى جهود جماعية، هذا فوق ما في مجابهة الباطل بآلياته ووسائله المختلفة من داع إلى تضافر الجهود، والمشورة، والتعاون ونحن في زمن المؤسسات، وفي عصر العولمة ومما يزري أن يكون أهل العلم والفضل أقل الناس استثماراً لهذه الطاقات من غيرهم.

إننا محتاجون إلى تفكير جماعي وجهود مشتركة حتى تصهر التجارب، وتُعمق المشاريع، وتتكامل الجهود، ويذهب رجز الشيطان، ويُطرد

الإحباط، وتزول دواعي الإبلاس واليأس والقنوط وهذه مساهمة وقادحة زناد، وباعثة على التفكير لمقترحات ومشاريع عملية تسير في اتجاه تعزيز مكانة العلماء والدعاة، ومن ذلك:

1 أهمية اللقاءات والمشاورات بين أهل العلم ليس في النوازل فحسب بل وفي أحوال الرخاء فاللقاء عزيز والمشورة لا تأتي إلا بخير، ويمكن تفعيل هذه الملتقيات بأكثر من وسيلة، وتوسيع دوائرها.

2 ولابد من تواصل في المعلومات عبر أمانة تُقترح، أو موقع إلكتروني يكون ميداناً لكل جديد، مزوداً بالمعلومات، راصداً للواقع بخيره وشرّه.

3 التفكير فى رابطة لأهل العلم والدعوة، تُقرب وجهات النظر، وتعطي تصوراً وموقفاً متقارباً على الأقل في النوازل والطوارئ، وهذه الرابطة تستدعيها روابط أخرى قامت ليس أهل العلم أقل حاجة إليها ويؤكدها استهدافهم، ويساهم في قبولها الانفتاح المشهود، الذي استفاد منه الآخرون أكثر من غيرهم.

4 التأكيد على الاتصال بالمسئولين وكبار العلماء ومواصلتهم بالنصح والمشورة، وبيان حجم الخطر على الجميع، ورسم طرق للعلاج، على أن يكون لذلك لجنة أو لجان تُعد المعلومات وتكتب التقارير، وتتواصل مع المسئولين والعلماء وأصحاب الشأن في البلد.

5 تحرير وثائق مهمة يُعنى بها العلماء ويكتبها القادرون منهم، وتكون باسم مجموعة منهم تتناوب وتتناول بين الفينة والأخرى أموراً تدعو الحاجة لبيانها، ومن الجميل أن تعنى بأمور الناس الدينية والمدنية، فتلك فوق ما فيها من النصح والإعذار فهي رصيد لأهل العلم، حين يسبقون في العناية بالشأن العام والخاص للناس.

6 التفكير الجاد فى إنشاء قناة أو أكثر أو مواقع إلكترونية يدعمها أهل العلم والدعوة، ويُدعى القادرون لدعمها، وتكون وسيلة لنشر العلم النافع، وتقرير مكانة العلماء، وتطرح نماذج من دورهم في المجتمع في الماضي والحاضر وتُعرف بأسلوب أو آخر بالمناوئين لهم هذا فضلاً عما في هذه القناة من مشاريع وبرامج أخرى تسير في اتجاه الخير، وتكون داعمة لأهل الخير، ولبيان سبيل المفسدين مع التأكيد على أسلوب الطرح الراقي، والإعداد الجيد، والموازنة والمداراة المشروعة.

7 ـ التأكيد على توحيد صف أهل العلم قدر الإمكان، واقتراح لجان أو أشخاص للإصلاح فيما يطرأ من خلاف وتقريب وجهات النظر حتى لا يشغل العلماء والدعاة بأنفسهم في وقت هم مستهدفون من أعداء لا يفرقون بين سوادهم، بل يستهدفونهم جميعاً.

8 - تشكيل لجان نصح لبعض من يشطح بفكره أو فتواه من أهل العلم والدعوة من باب الإعذار أولاً، وحتى لا يتخذ من هذه الشطحات مجالاً للتعذر واتهام أهل العلم عموماً من قبل المتربصين والشانئين، ثانياً، وحتى لا تكون سبباً في المزيد من انحراف المجتمع وفتنته ثالثاً فزلة العالِم قد يزل بها العالَم.

9 - لابد لأهل العلم من تجاوز الحذر الزائد، والتخوّف من كل تحرك، والقعود بهاجس خوف الفتنة، فتلك إذا زادت عن الحد المشروع باتت من تخويف الشيطان وتخذيله، وإذا كان أهل الريب والفساد قد بلغت بهم الجرأة مبلغها، وهم ضد توجه المجتمع، وضد سياسات البلد، فلا ينبغي لأهل الحق أن يقعدوا وهم أهل الخير ودعاة الإصلاح، فتأخرهم يجرئ غيرهم، ولو تنادى الخيّرون لملتقى باسم بلادنا واختراق السياسات أو لحصل من ذلك خير عظيم حيث تبرز سياسات الدولة في التعليم والإعلام وأنظمة الحكم وما يتعلق بالمرأة ونحو ذلك من سياسات معلنة للدولة ثم يحاكم الواقع إليها، ومَن اخترقها؟ وما هي الخطوات التي تعمل في الخفاء لإعادة صياغتها؟ كل ذلك يكشف عن التجاوزات، ويوقف هؤلاء العابثين لأن الناس وفي مقدمتهم العلماء واعون لخططهم، ومدركون لاختراقهم.

10 يحتاج أهل العلم إلى إحياء فقه السياسة الشرعية، والمناورة المشروعة مع الجهات الرسمية، والمكاشفة الواعية مع المسؤولين، فالمصالح مشتركة، ولابد من استثمار ذلك في تحقيق المصالح ودرء المفاسد، ولو كان هناك تنازلات يدعو إليها فقه الأولويات وتحقيق الخير ودرء الشر.

11- ومن المهم عناية العلماء بالمؤسسات والهيئات الشرعية، ودعمها،ومراجعة أخطائها، وإعادة تقويمها بما يخدم المصلحة ويحميها من ألسنة وأقلام أهل الريب، فتلك مؤسسات محسوبة على أهل الخير، وهي شجى في حلوق مَن في قلوبهم مرض، والتداعي لاستصلاحها ونصرة رجالها يساهم في تثبيتها ويعمم رسالتها ويعمق مجالات نشاطها، ويثبت رجالاتها.

12- ومن الخير والطموح التفكير فى مؤسسات أو هيئات جديدة تنشر الخير، وتحارب الفساد، وتتيح فرصاً لتعدد الخير وانتشار الأخيار، ولو كانت بمسميات غير تقليدية، فالمهم عملها ومخرجاتها وليس المهم مسمياتها، فقد تحمل مسمى تربوي أو اجتماعي أو نحوها.

13- لابد أن يعنى العلماء وطلابهم بلغة الحوار، وقواعد المناظرة وأدب الخلاف، وآثار الاختلاف فتلك ونحوها مصطلحات ومفردات مهمة تعين

على تقارب أهل العلم من جانب، وتعينهم على محاورة المخالفين وإقناعهم بالحجة وأدب المحاورة وسياسة المناظرة من جانب آخر.

14- استثمار المنابر الإعلامية لتعزيز مكانة العلماء .

15 تذكير المعلمين في المدارس والأخيار منهم كثرة بالحديث عن العلماء ومكانتهم في المجتمع، كلما سنحت الفرصة، وعبر مفردات المنهج الدراسي والسعي المستمر إلى المزيد من تضمين ذلك في المناهج الدراسية لدوامه وتعميمه.

16 العناية بالتخصص لا سيما في زمن التخصص أمرٌ مهم، ومن المناسب أن يُعرف عن عدد من العلماء وطلبة العلم التخصص في قضايا وعلوم وفتاوى معينة ويُعرف عن آخرين تخصص وقضايا وفتاوى أخرى وهكذا فذلك يعمق نظرة العالم للموضوع من جانب ويخفف من حدة الاختلاف والتضارب في الفتاوى من جانب آخر.

كيف يُعرف العلماء؟ أو ما هي أوصاف هؤلاء العلماء الأجِلاَّء، فالعلماء يُعرَفون بخشيتهم وتنَسُّكهم، ودعوتهم وجهادهم؛ (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)ويُعرَفون بالعلم والرسوخ فيه، قال ابن القيم : إن الراسخ في العلم لو وَرَدَت عليه من الشُّبَهات بعدد أمواج البحر، ما أزالتْ يقينَه، ولا قدحت فيه شكًّا؛ لأنه قد رسخ في العلم، فلا تستفزُّه

الشبهات، بل إذا وردت عليه رَدَّهَا حرسُ العلم وجيشُه مغلولةً مغلوبةً؛ [1] ويُعرفون بشهادة مشايخهم بالعلم، وبدروسهم وفتاواهم ومؤلفاتهم، وباستعلائهم على حطام الدنيا الزائل، قال شيخ الإسلام رحمه الله : ومن له في الأمة لسانُ صِدْق؛ بحيث يُثنَى عليه، ويُحمَد في جماهير أجناس الأمة، فهؤلاء أئمة الهدى، ومصابيح الدجى؛[2].

التفريق بين العلماء وبين من قد يتشبه بهم:

هناك فرقًا جوهريًّا واضحاً بين طبقة العلماء، وبين غيرهم من القراء من يجيد القراءة والكتابة والمثقفين والمفكرين والوُعاظ، والخطباء فالعالم الفقيه ذو فهْم شُامل للإسلام، واطّلاع على مجمل الأحكام الشرعية ، صاحب مَلَكة في فهم النص، ومعرفة بمقاصد الشريعة وأهدافها ، قال الإمام مالك : الحكمة والعلم نور يهدي به الله من يشاء، وليس بكثرةِ المسائل فلا بد أن يُفَرَّق بين هذا العالم الرباني، وبين من قرأ نُتَفًا من العلم هنا وهناك، ويفرَّق بين من مازج بين ثقافة إسلامية عامة، وأخرى غربية كلامية جدلية، ويفرق بين قصَّاص واعظ، قال ابن

1- مفتاح دار السعادة 140/1 2- الفتاوى 11/ 43

مسعود رضي الله عنه : إنكم في زمانٍ كثير علماؤه، قليل خطباؤه، وسيأتي من بَعدِكُم زمان كثيرٌ خطباؤه، والعلماء فيه قليلٌ؛[1] وقال مجاهد رحمه الله : ذهب العلماء فلم يبق إلا المتكلمون، وما المجتهد فيكم إلا كاللاعب فيمن كان قبلكم.

قواعد في التعامل مع العلماء

موالاة العلماء ومحبتهم:

قال الإمام الطحاوي رحمه الله في العقيدة الطحاوية: وعلماء السلف من السابقين، ومَنْ بعدَهم من التابعين، أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يُذكَرون إلا بالجميل، ومَنْ ذُكِرَهُم بسوءٍ، فُهُمْ على غير السبيل، ويقول شيخ الإسلام: وليس لأحد أن ينتسب إلى شيخ يوالي على متابعته ويعادي على ذلك، بل عليه أن يوالي كل من كان من أهل الإيمان، ومن عُرف منه التقوى مِنْ جميع الشيوخ وغيرهم، ولا يَخُص أحدًا بمزيد موالاة، إلا إذا ظهر له مزيد إيمانه وتقواه، فيقدِّم من قدَّم الله تعالى ورسوله عليه، ويُفضِّل من فضَّله الله ورسوله.

1--رواه البخاري في الأدب المفرد ص 346

احترام العلماء وتقديرهم:

قال طاوس بن كيسان : مِنَ السُّنة أن يوقَّر أربعة: العالم، وذو الشَّيْبة، والسُّلطان، والوالد، ولقد أخذ ابن عباس رضي الله عنهما مع جلالته وعلو مرتبته، بركَاب زيد بن ثابت الأنصاري، وقال: هكذا أُمِرْنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا؛وقال ابن عباس رضي الله عنهما : مكثت سنتين أريد أن أسأل عمر بن الخطأب رضي الله عنه عن حديث، ما منعني منه إلا هيبَتُه.

الأخذ عن العلماء والسعي إليهم:

قال سلمان الفارسي رضي الله عنه : لا يزال الناس بخير، ما بقي الأول حتى يتعلَّم، أو يُعلِّم الآخِرَ، فإن هلك الأول قبل أن يُعَلِّم أو يتعلم الآخِر،هلك الناس، وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : ما لي أرى علماءكم يذهبون، وجهَّالَكُم لا يتعلمون، فتعلَّموا قبل أن يُرفع العلم؛ فإنَّ رَفْعَ العلم ذَهَابُ العلماء، وقال ميمون بن مِهران العلماء هم ضالتي في كل بلد، وهم بُغيتي، إذا لم أجدهم، وجدت صلاح قلبي في مجالسة العلماء.

رعاية مراتب العلماء:

إن العلم درجات، والعلماء مراتب، ومنه مراعاة التخصص، ومراعاة السن، قال الإمام الذهبي في سيره: أقْرَأ هذه الأمةِ أُبَيٌّ بن كعب، وأقضاهم عليٌّ، وأفرَضُهُم زيدٌ، وأعلمهم بالتأويل ابنُ عباس، وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : إنكم لن تزالوا بخير ما دام العلم في كباركم، فإذا كان العلم في صغاركم، سفَّه الصغيرُ الكبير.

الحذر من تخطئة العلماء بغير علم:

قال الشيخ ابن باز : الواجب على المسلم أن يحفظ لسانه عما لا ينبغي، وألا يتكلم إلا عن بصيرة، فالقول بأن فلانًا لم يفقه الواقع، هذا يحتاج إلى علم، ولا يقوله إلا مَنْ عنده علم؛ حتى يستطيع الحكم بأن فلانًا لم يفقه الواقع، أما من يقول هذا جُزافًا، ويحكُمُ برأيه على غير دليل، فهذا منكر عظيم لا يجوز، والعلم بأن صاحب الفتوى لم يفقه الواقع يحتاج إلى دليل، ولا يتسنى ذلك إلا للعلماء.

ومما يجب الحذر منه رَمْي العالم بجهله بحال المنافقين والعلمانيين، ومما يجب الحذر منه رمي العالم بالبدعة، من غير دليل ولا برهان.

التماس العذر للعلماء:

قال عمر بن الخطأب رضي الله عنه : لا تظُنَّ بكلمة خرجت من أخيك المسلم سوءًا، وأنت تجد لها في الخير محملاً، ويقول السبُّكي : فإذا كان الرجل ثقة مشهودًا له بالإيمان والاستقامة، فلا ينبغي أن يُحمل كلامه وألفاظ كتاباته على غير ما تُعُوِّدَ منه ومن أمثاله، بل ينبغي التأويل الصالح، وحسن الظن الواجب به وبأمثاله.

الرجوع إلى العلماء والصدور عن رأيهم، خصوصًا في الفتن:

يقول الشيخ العلامة صالح الفوزان فالواجب علينا التثبُّت، وعدم التسرع، والله سبحانه وتعالى أمرَنا بالتثبت فيما يختص بالعامة من الأمة، وجعل أمور السلم والحرب، والأمور العامة، جعل المرجع فيها إلى ولاة الأمور، وإلى العلماء خاصة، ولا يجوز لأفراد الناس أن يتدخلوا فيها؛ لأن هذا يشتت الأمر، ويفرِّق الوَحدة، ويتيح الفرصة لأصحاب الأغراض، الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر.

الاعتبار في الحكم بكثرة الفضائل:

قال سعيد بن المسيب : ليس من عالِم، ولا شريف، ولا ذي فضل، إلا وفيه عيب، ولكن من كان فضله أكثر من نقصه، ذهب نقصُه لفضله، كما أنَّ مَنْ غلب عليه نقصانه، ذهب فضله، ويقول الإمام ابن عبدالبر : لا يسلم العالم من الخطأ، فمن أخطأ قليلاً وأصاب كثيرًا، فهو عالم، ومن

أصاب قليلاً وأخطأ كثيرًا، فهو جاهل، ويقول ابن رجب : والمنصِفُ مَن اغتفر قليلَ خطأِ المرءِ في كثير صَوَابه.

الحذر من زلات العلماء:

فكما هو مقرر أن العلماء غير معصومين، فمن وقع في زلة، فلا تعتمد هذه الزلة، ولا تأخذ بها؛ لأنها جاءت خلاف الشريعة؛ ولهذا قال الشاطبي : إن زلة العالم لا يصح اعتمادها، من جهة، ولا الأخذ بها تقليدًا؛ لأنها موضوعة على المخالفة للشرع؛ لذلك عُدَّت زلة، وإلا فلو كانت مُعتَدًّا بها، لم يُجعل لها هذه الرتبة، ولا نَنْسُب إلى صاحبها الزللَ فيها؛ ولهذا قال الأوزاعي رحمه الله : من أخذ بنوادر العلماء، خرج من الإسلام.

ثم إذا علمت هذه الزلة، فلا بد من العدل والإنصاف في التعامل معها، وفي هذا قال الإمام الشاطبي لا ينبغي أن ينسب صاحبها إلى التقصير، ولا أن يُشَنَّع عليه بها، ولا ينتقص من أجلها، أو يعتقد فيه المخالفة بحتًا؛ فإن هذا كله خلاف ما تقتضي رتبته في الدين، ولهذا لا بد من المناصحة، وتبيين الزلة بأسلوب علمي، وأدب رفيع، تعريضًا لا تصريحًا.

كلام الأقران في بعض يُطوى ولا يُروى:

قال ابن عباس رضي الله عنهما : استمعوا علم العلماء، ولا تُصدِّقوا بعضهم على بعض، وقال الإمام الذهبي: كلام الأقران بعضهم في بعض لا يؤبَهُ به، لا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة، أو لمذهب، أو لحسد، وما ينجو منه إلا من عَصَمَهُ اللهُ، وما علمْتُ أن عصرًا من الأعصار سَلِمَ أهله من ذلك سوى الأنبياء والصِّدِّيقين، ولو شئتُ لسردْتُ من ذلك كراريس، وقال الحافظ ابن حجر كلام الأقران غير معتبَر في حق بعضهم بعضًا، إذا كان غير مفسَّر.

ومن أسباب هذا الكلام وجود المنافسة في البلد، أو التخصص العلمي، الغضب الشديد، الاختلاف المذهبي، وجود بعض الإحَن والمخاصمات، ومع هذا فصُوَر العلماء مشرقة، واضحة في العدل والإنصاف، ومنه قول الإمام أحمد في إسحاق بن راهويه؛ حيث قال: لم يَعبُر الجسرَ إلى خراسان مثلُ إسحاقَ، وإن كان يخالفنا في أشياءَ، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضًا.

العدل في الحكم على المجتهدين:

أن المجتهد مأجور، غير مأزور في اجتهاده؛ فعن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب، فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ، فله أجر)، وقال

ابن تيمية ومذهب أهل السنة أنه لا إثم على من اجتهد، وإن أخطأ، واعلم أيضًا أن الاختلاف بين العلماء أمر مقدور، لا يمكن تجاوزه، كما أن اختلافهم في الأحكام له أسباب معتبرة، ولم يكن عن تعمُّد، ولا اعتباطًا، أو لِهَوًى، أو غير ذلك.

ولقد ألف شيخ الإسلام رسالة ثمينة في هذا الباب، فلتُراجَع، وهي بعنوان: رفع الملام عن الأئمة الأعلام.

ومما يجب علمه أيضاً: ليس كلُّ اختلاف بين العلماء يُعَدُّ اختلافا حقيقيًّا، بل قد يكون من باب اختلاف التنوع لا التضاد، ولا بد أن يُرجَع كل خلاف إلى القرآن والسنة للفصل فيه، ولا بُدَّ أن تدرك أن العصمة لا تكون لأحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم فكُلٌّ يؤخذ من قوله ويُرَدُّ إلا محمدًا صلى الله عليه وسلم.

ترك المبادرة إلى الاعتراض على العلماء:

ومثال ذلك الإرشاد النبوي في واقعة الحديبية، بعد كتابة وثيقة الصلح مع قريش، واعترض الصحابة رضي الله عنهم على بنودها، ومن أشدهم عمر بن الخطأب رضي الله عنه ثم تبين بعد ذلك أن هذا الصلح كان خيرًا وفتحًا مُبينًا للمسلمين، وتاب الصحابة رضي الله عنهم عن

اعتراضهم، وما زال عمر رضي الله عنه يصوم، ويتصدق، ويعتق؛ كفارة عن ذلك اليوم.

وخذ بوصية الحسن بن علي رضي الله عنهما حيث أوصى ابنه قائلاً له: يا بُنَي، إذا جالسْتَ العلماء، فكن على أن تسمع أحرصَ منك على أن تقول، وتعلَّم حسن الاستماع، كما تتعلم حسن الصمت.

وضع الثقة في العلماء:

إن من الناس من يطالب العلماء الربانين ببيان كل شيء، يتعلق بأمور العامة، وهذه المطالب مخالِفة للشرع والعقل؛ فليس كل أمر يصلح إخبار الناس به، وهم أعلم بما يَصْلُح للمتعلم من العِلْم، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : حدِّثوا الناس بما يعرفون؛ أتُحِبُّون أن يُكَذَّب اللهُ ورسوله؟!، وقال ابن مسعود رضي الله عنه : ما أنت بمحدِّث قوماً حديثًا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة.

صيانة العلم

شاع في الأمة منذ قرون عدة ، بدعة إطراء السلاطين والحكام ، وأفرط بعض الناس فيه لدرجة الغلو ، وصار مدح الحكام سنة يربو عليها الصغار ، ويهرم عليها الكبار ، حتى غدا كسبحة العشي والإبكار

وإذا كنا نستنكر صدور ذلك العمل من العامة ، فإننا نستعظمه من أهل التقوى والديانة .

وقد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم على الذين قالوا له أنت سيدنا وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولاً وحذرهم من التمادي في المدح والإطراء والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ولم يؤثر عن أحد من أئمة السلف إشهار المدح والثناء على الأمراء ، بل ذموا المداحين مطلقاً، وجعلوا ذلك من علامات النفاق .

فقد مدح رجل عثمان رضي الله عنه في حضرته ، فأخذ المقداد رضي الله عنه يحثو عليه الحصباء ، فقال له عثمان ما شأنك ؟ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب وقيل لابن عمر رضي الله عنهما : إنا ندخل على سلطاننا فنقول له بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عنده ، قال: كنا نعدها نفاقاً وقال أسامة رضي الله عنه ، لما سألوه أن ينصح عثمان رضي الله عنه : إنكم لترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم ، إني أكلمه في السر دون أن أفتح باباً لا أكون أول من فتحه ، ولا أقول لرجل أن كان علي أميراً إنه خير الناس .

قال الحافظ (فيه ذم مداهنة الأمراء في الحق ، وإظهار ما يبطن خلافه كالمتملق بالباطل فأشار أسامة إلى المداراة المحمودة والمداهنة المذمومة)فينبغى للعلماء أن يصونوا علمهم عن مداهنة الحكام وإطرائهم ، فإن ذلك ، مع كونه مخالفا لهدي السلف ، فإن فيه ابتذالا للعلم ، وفتنة للحكام والعوام

قبض العلم

قالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : إنَّ اللَّهَ لَا يَقْبضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبضُ الْعِلْمَ بقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا .

قَوْلُهُ : (لَا يَقْبضُ الْعِلْمُ انْتِزَاعًا) أيْ : مَحْوًا مِنَ الصُّدُور ، وَكَانَ تَحْدِيثُ النَّبيِّ ﷺ بذَلِكَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاع كَمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ أبي أمَامَةَ قالَ : لَمَّا كَانَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاع قالَ النَّبيُّ ﷺ : خُذُوا الْعِلْمَ قَبْلَ أنْ يُقْبَضَ أوْ يُرْفَعَ فَقالَ أعْرَابيٌّ : كَيْفَ يُرْفَعُ ؟ فَقالَ : أَلَا إنَّ ذَهَابَ الْعِلْمِ ذَهَابُ حَمَلَتِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قالَ ابْنُ الْمُنِير : مَحْوُ الْعِلْمِ مِنَ الصُّدُور جَائِزٌ فِي الْقُدْرَةِ ، إلَّا أنَّ هَذَا الْحَدِيثَ دَلَّ عَلَى عَدَمِ وُقُوعِهِ .

قوْلُهُ : حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ هُوَ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَالْقَافِ ، وَلِلْأَصِيلِيِّ بِضَمِّ أَوَّلِهِ وَكَسْرِ الْقَافِ ، وَعَالِمًا مَنْصُوبٌ أَيْ : لَمْ يُبْقِ اللَّهُ عَالِمًا وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ : حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا .

قوْلُهُ:(رُءُوساً قَالَ النَّوَوِيُّ : ضَبَطْنَاهُ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَالتَّنْوِينِ جَمْعُ رَأْسٍ : وَفِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ أَيْضًا بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ ، وَفِي آخِرِهِ هَمْزَةٌ أُخْرَى مَفْتُوحَةٌ جَمْعُ رَئِيسٍ قوْلُهُ: بِغَيْرِ عِلْمٍ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي الْأَسْوَدَ فِي الِاعْتِصَامِ عِنْدَ الْمُصَنِّفِ : فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ كَالْأُولَى .

ولقد ذهب العلماء الأجلاء والباقى منهم تعتقله الحكومات الاسلامية بكل أسف وتتهمهم بالارهاب لمجرد أن آرائهم لا تعجب الحكام ولا رؤوس الكفر فى أوروبا وأمريكا وبدلاً من الدفاع عن ديننا نعتقل العلماء وهذا نذير بزوال الأمة الاسلامية بأجمعها اذ من سيبين للناس أمور دينها وما يجب فعله فى النوازل التى تحل بها أهم أمثال الولد المدعو ميزو.

والغريب المقيت ما تفعله العربية السعودية حيث تعتقل كل العلماء الكبار وما يحدث عندها يحدث فى كل الدول الاسلامية حيث يقضون على التعليم الدينى للصغار ويقبضون على من لديه أى أوراق دينية فى دول غير اسلامية كما يحدث مع الروهينجيا ويضيقون على كل المسلمين

ويغلقون المعاهد العلمية التى تعلم الناس أمور دينهم كما يحدث فى بورما وباكستان وافغانستان وتركستان الشرقية ودول كثيرة فى أفريقيا يتم حصار الدين ومعاهد تعليمه بل ويقتلون العلماء مثلما حدث مع الشيخ عماد عفت فى مصر ولو تجاسر أحد وقاوم اتهموه بالعمالة والارهاب والتهم كثيرة وجاهزة حتى بلغت بهم الحماقة ان اتهموا أكبر اتحاد لعلماء المسلمين فى العالم بالارهاب وأكبر علماء الأمة قد تصدر ضدهم أحكام بالاعدام كل هذا ونحن نرى أمام أعيننا رجال دين غير صحيح يقبلون أيديهم عند اللقاء ويقوم لهم الكبار والصغار بشاشة ويبجلونهم أما نحن فلا أدرى ما جرى لنا وما يجرى من إهانة رجال الدين عندنا واعتقال وتضييق لكن صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فالحق سبحانه انتزع العلماء الكبار الذين كانوا يستطيعون إزاحة الحاكم بكلمة واحدة تخرج من فيه غير مقبوله شرعاً فلنا الله فقد كانت لحومهم مسمومة لا يستطيع أحد أن يلوكها فى فيه أما الآن فقد صارت لحومهم شهية ورخيصة ومتاحة لكل من يريد أن يلوك بل أصبحت مفخرة يفخر بها كل من أراد أن يثلم الاسلام بثلمة يتهم علمائه بالارهاب فلم تعد لحوم علماء الاسلام مسمومة .